

رسالة قداسة البطريرك كيريل بطريرك موسكو وسائر روسيا إلى أساقفة وكهنة وشماسة ورهبان وراهبات وأبناء الكنيسة الأرثوذكسية الروسية بمناسبة عيد الفصح المجيد

أيا أصحاب السيادة، وقدس الآباء والشماسة،
الرهبان والرهبات،
والإخوة والأخوات الأعزّاء!

في هذا اليوم "المدعو المقدس"، المفعم بفرح عيد القيامة الطافح وعبق ألقها السنوي. ينبجس نورها العلوي من الوميض للإلهي في فجر مضيء حيث تصدح فيه البشرية الجوهريّة منتقلة من فم إلى فم وحيث ترفرف في خلجات القلوب نغمات شجيّة اللحن:

المسيح قام! حقاً قام!

وإذ ننطق بهذه الكلمات نعلن إيماننا الحيّ الثابت، ونعترف بذلك الذي انتصبنا مصليّين ضار عين أمام صليبه الكريم وأمام الإبيتافيون يوم الجمعة العظيمة جنباً إلى جنب مع رسله والنسوة حاملات الطيب. ففي هذا اليوم المقدس نشهد مع طغمت القوات الملائكيّة على وحدة الكنيسة الأرضيّة والسماويّة، هاتقين بغبطة لا ندّها: "اليوم خلاص للعالم، لأنّ المسيح قد قام بما أنّه على كلّ شيء قدير" (من إرموس الأودية الرابعة لقانون الفصح).

لا ريب أنّ قيامة المخلص هي الشهادة الأبرز لحكمة الله خالق السموات والأرض ومحبته اللامتناهية للجنس البشريّ. كلّنا يعلم كيف خيّمَت سحابة دكناء، في بداية تاريخ البشريّة، عندما سقط جدّانا الأوّلان، وأُغلقت أبواب الفردوس من جرّاء ذلك تمنع ولوج الجميع إليه. ومنذ ذلك الوقت، ساد الموت وطغت الآلام كعقاب بديهيّ لخطيئة الإنسان، بيد أنّ البشر لم يفقدوا نسغ محبة الربّ ينبوع الحياة ورحمته بداعي السقوط. ويصف القديس نيقولا كافاسيلاس (القرن الرابع عشر) المحبة الإلهيّة بقوله: "إنّ محبة الله لا حدود لها ولا قياس، بل وتعجز الأقوال كافّة عن التعبير عنها" (سبع كلمات عن الحياة في المسيح. الكلمة السادسة). هذا، وخير وسيلة تترجم المحبة هي تنمية أعمال الخير حيال أقربائنا، واستعداد الإنسان لبذل نفسه من أجل الآخر، ومشاطرته كلّ الصعوبات التي تصادفه، بما في ذلك الآلام والضغط، ولنا في ذلك مثال الربّ يسوع، الذي بتجسده جدّد طبيعة جنس الأنام التي أفسدتها الخطيئة، وبصليبه أنقذها من سلطان الشرّ وسطوته. ويذكرنا القديس أفرام السريانيّ بقوله: "هكذا قبلنا الحياة في المسيح، وتذوّقنا جسده بدلاً من ثمر الشجرة.. لقد طهرنا بدمه الكريم من اللعنة، فبتنا نحيا على رجاء القيامة والحياة الأبديّة (تفسير الإنجيل، 21).

لقد فتحت قيامة المخلص للبشريّة المعبر إلى ملكوت السموات، فامتأ الكيان الإنسانيّ الماديّ بمعنى روحيّ أبديّ. ولا بأس، هنا، أن أطيّب أقوالي بما كتبه القديس مكسيموس المعترف في هذا الصدد: "لقد بذل الله نفسه فدية عن جميع المؤمنين به ليحصلوا على عدم الفساد، ولكي يتبع طريقه جميع المخلصين" (أميغوا، 42). لذلك، كم هو أمر أساس أن نتنشّق هواء الأبديّة منذ الآن، ونحن ما زلنا على الأرض، بما أنّنا "خلعنا الإنسان العتيق مع أعماله" (كولوسي 9: 3). فلنصلح، إذًا، حياتنا لتأتي مطابقة للإنجيل المقدس، ونشترك في أسرار الكنيسة المقدّسة، ميراث وعود الله العظيمة.

وأما الإيمان بقيامة المخلص، فيطفي شعلة الهموم اليوميّة، داعياً إيّانا إلى الارتفاع فوق غرور الدنيا وغوغانها لنلّا نختنق بمهّماتها الزائلة، ويساعدنا على كبح جماح أغراءات الخطيئة والتغلب على الخوف. فحريّ بنا، استجابةً للمحبة الإلهيّة، أن نظهر "المحبة من قلب ظاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء" (1 تيموثاوس 5: 1). ومبادلةً لرحمته، أن نملأ عمرنا بأفعال الرحمة مع أقربائنا. ومقابلته لرعايته، أن يمسي عنواناً جهادنا تقويم حياتنا بحسب المثل الساميّة للإنجيل المقدس.

غني عن القول بأن الفصح يوحد روحياً، متجاوزاً الحدود الوطنية والإقليمية، ملايين المؤمنين المسيحيين المنتشرين في بلدان مختلفة. إن هذه الجوقة الأرضية بأصواتها المتعددة، ترفع مع سائر الملائكة السماويين المجد للمسيح الإله الذي "أراق دمه من أجل الجميع وافتدى العالم بثمن محيي" (أكتويخوس، اللحن السادس، إستيشارات في سحر السبت).

وأما كلمات الشكر المتداولة من سنة إلى سنة، ومن قرن إلى قرن، ومن ألفة إلى ألفة، فهي تلفت العالم بأسره ويطن صوتها في الأرض برمتها. ورغم التجارب والمحن القاسية والضغوط والصعوبات، فما زالت نغمات الحمد تتناهي إلى مسامعنا، لا سيما في يومنا هذا، والعالم يئن من ويلات الوباء الخطير. ففي هذه الفترة الحالكة بالذات، من المهم جداً أن تبقى أعمال المحبة محط أنظارنا، فلا نصرف وجهنا عن مساندة المرضى وشد أزr العاجزين، ومؤاساة المحزونين الذين منوا بخسارة جسيمة لا تعوض بفقدانهم أحب الأحب والأعزاء. كما لا يفوتنا أن نذكر أولئك الذين يتضورون من عوز شديد لا معين لهم ولا مؤازر، لا سيما العاجزين عن الذهاب إلى الكنيسة. ودعونا، أيضاً، نعصد من اكتفتهم العذابات، غير صامنين الأذن، كذلك، عمّن يتطلعون إلى سند بشري والاهتمام بهم ورعايتهم.

لا شك في أن الكثيرين منكم لم يتمكن، مؤخراً، من المشاركة في الخدم الكنسية والغرف من معينها الذي لا ينضب بسبب تدابير الوقاية من العدوى الوبائية. تُظهر هذه الخبرة مدى أهمية تجييش كافة أمكانياتنا للمساهمة في الصلوات المشتركة وفي الأسرار المقدسة، وبالأخصّ الجوهرة الإلهية أي سرّ الإفخارستيا، الذي يوحدنا مع المسيح ومع بعضنا البعض.

أيا أعزائي، أثبتكم تهنئي الأبوية القلبية بعيد الفصح المجيد، سائلاً الرب يسوع المسيح مانح الحياة أن يغمركم بغيث مراحمه ويكلل حياتكم بوفور الصحة ويحولكم دوام العافية والانعقاد من كل شرّ ووجع مفسد، وأن ينعم علينا أجمعين بأن "نساهمه بأوفر حقيقة، في نهاية ملكه الذي لا يغرب أبداً"، مرثمين بشفاه الابتهاج والحبور:

**المسيح قام!
حقاً قام المسيح!**

**كيريل،
بطريك موسكو وسائر روسيا**

**الفصح المجيد،
2021**